

الترابط المفهومي في رسائل محمد البشير الإبراهيمي دراسة لآليات السياق ونظرية الأفعال الكلامية

أ. جليتي بلقاسم
جامعة أكلفت

الملخص:

إن الشيء الأهم في التحليل النصي هو استنتاج الخواص التي تؤدي إلى تماسك النص، فعلم اللغة النصي يتعامل مع النص على أنه وحدة كبرى يسعى في دراسته على التلاحم بين أجزاء النص وروابطه الداخلية لذلك نجد أن أكثر الباحثين في الدراسات النصية يولون اهتماما كبيرا بآلية السياق والمستوى الدلالي، وهذه الجوانب من أهم الآليات المساهمة في دراسة بنية النص وإبراز مواطن تحقق التماسك فيه من عدمها، فكان بذلك لزاما أن نقوم بتحديد مفهوم آلية السياق ونظرية الأفعال الكلامية ووضعها على محك التجربة في رسائل العلامة محمد البشير الإبراهيمي، وعلى أساس ذلك استخلصنا أن السياق في رسائل الإمام العنصر الأساسي في بناء النص وإنتاجه وفهمه، حيث اقتصر حديثنا عن المرسل والمرسل إليه والرسالة والحيز الزماني والمكاني لهذه الرسائل، ثم بينا مدى مساهمة الأفعال الكلامية كالتوجيهات والتعبيرات والحكميات والتبنيات، من خلال هذه الآليات وبعض الأدوات النصية تم تحقيق الترابط المفهومي مؤديا بذلك لبناء البنية الكلية للرسائل.

RUSUME:

Le plus important élément dans l'analyse textuel est bel et bien les déductions des caractéristiques qui mènent à la cohésion du texte. La linguistique textuelle considère le texte comme une unité majeure en étudiant la cohésion entre les parties du texte et les liens internes. La majorité des spécialistes dans le domaine s'intéressent à ses éléments textuels et même sémantiques. Et pour ses considérations, nous avons pris la tâche d'élucider certaines notions comme le contexte, la cohésion, etc. dans la correspondance du Cheikh Bachir Brahimi. La contextualisation est un élément vital dans la construction et la réception de l'œuvre. Nous avons déterminé le destinataire le récepteur, le message, et l'élément spatio-temporel et aussi le rôle de communication verbal. Tous ses outils textuels ont abouti à la cohésion sémantique menant à la construction de la supra-structure du texte Ibrahimien.

أولاً/ السياق ⁽¹⁾. Contexte:

1. مفهومه:

أ. لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور: السوق معروف، ساق الإبل، وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق شدد للمبالغة، وقد انسقت و تساوقت الإبل تساقاً إذ تتابعت وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة، والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعض، وساق إليه الصداق والمهر سياقا، وأساقه وإن كان دراهم أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق فاستعمل في ذلك الدرهم والدنانير وغيرها ... و السياق: المهر، وساق بنفسه سياقا، نزع بها عند الموت، تقول رأيت فلانا يسوق سواقاً أي: يترع

نزعاً عند الموت.⁽²⁾

فالتتبع للمادة المعجمية -سوق- يجد أنها تدل في الغالب على التتابع و الترايط و الدفع أو هو المهر، حيث أطلق العرب مصطلح السياق على المهر الذي يدفع للمرأة، وعلاقة الترايط بينهما أنه كان يدفع إليها عدداً من الإبل، فالسوق المرتبط بالإبل تعددت دلالاته إلى المهر.
ب. اصطلاحاً :

السياق (contexte) هو لفظ يتكون من سابقة (con) تعني المشاركة أي توجد أشياء مشاركة في توضيح النص with the text و هي فكرة تتضمن أموراً أخرى تحيط بالنص كالبيئة المحيطة، والتي يمكن وصفها بأنها الجسر بين النص والحال.⁽³⁾

ففي هذا النص إشارة واضحة لأهمية السياق و دوره في فهم النص، و قد أشار "هاليداي" و "رقية حسن" في كتابهما الموسوم بـ "اللغة، السياق و النص" إلى أن وضوح النص و جلاء معناه مرتبط بمعرفتنا للبيئة المحيطة به، بل و اعتبر أنها الجسر الرابط بين النص و الحال أو المقام.

ونظراً لأهمية السياق البالغة في فهم النص فقد حظي باهتمام علماء اللغة عامةً، و علماء النص بصفة خاصة و لعل من أهم المدارس التي اهتمت بالسياق نجد مدرسة "فيرث" (firth) حديثاً و تجدر الإشارة إلى إن الاهتمام بالسياق و دوره في توضيح المعنى لم يكن مقتصرًا على المدارس الحديثة فقط، بل تناولوه علماء العرب القدماء و يحظ وافر من الدراسة بدءاً بعلماء النحو، مروراً بعلماء البلاغة ووصولاً إلى علماء التفسير والأصول.
2. السياق عند القدماء:

لقد ورد مصطلح السياق في التراث العربي بهذه الصيغة وبصيغ أخرى تؤدي نفس المفهوم من مثل، الحال، الأحوال، الدليل، القرينة، القرائن، المقام، الموقف...، فالبلاغيون بوجه خاص يستخدمون مصطلحي الحال والمقام للدلالة على ما نسميه سياق الموقف، وكان أول من استخدمه بهذا المعنى -السياق- ويراد به السياق اللغوي نجد الشافعي (ت204هـ) حين عقد باباً في الرسالة أسماه: "باب الصنف يبين سياقه معناه".⁽⁴⁾

وقد كان يعبر عن هذا المصطلح عند علماء البلاغة العبارة الشهيرة - "لكل مقام مقال"، وربط البلاغيون السياق بالصياغة أصبح مقياس الكلام في باب حسن والقبول بحسب مناسبة لما يليق به مقتضى الحال، غير أن اللافت للنظر أن يوحد البلاغيون بين مصطلحي الحال و المقام حيث يستخدمان مترادفين.

قال الخطيب "القزويني" مقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يبين مقام التعريف، و مقام الاختلاف يبين مقام التقيد و مقام التقديم يبين مقام التأخير، و مقام الذكر يبين مقام الحذف و كذلك لكل كلمة مع صاحبها مقام.⁽⁵⁾

فالنص السابق يؤكد على ضرورة مطابقة الكلام لمقتضيات الحال أو المقام فالمقام الذي يتطلب التعريف يختلف عن المقام الذي يستدعي التنكير، و نفسه مقام الإطلاق يختلف عن المقام الذي يستوجب من التقيد ... و ضم الكلمات بعضها إلى بعض يجب أن تراعي فيه المقام الذي ستقال فيه.

وعموماً يمكن القول أنّ البلاغيين إجمالاً يوحّدون بين المقام و الحال و لعلّ النصّ التالي يؤكد على ضرورة مراعاة المقام و موافقته للمقال >> ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينهما و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من كل ذلك كلاماً، و لكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات << (6).

فعلى الرغم من كثرة المعاني و تراحمها في النصّ نتيجة تعدد الأقدار بين المعاني و الكلام و المستمعين والحالات و المقامات، فالنصّ السابق يفرق بين مصطلحين: "الحال و المقام" إلا أنّ المعنى الظاهر والأساسي في النصّ هو ضرورة مراعاة المقام في الكلام و ضرورة مطابقة لظروف المتكلمين و طبقاتهم وأحوالهم الاجتماعية، فالمقال ليس إلّا للألفاظ المناسبة للمقام الاجتماعي الذي يجري فيه الحديث بالإضافة إلى أنّ هناك اعتبارات أخرى مهمة في التقدير و قبول الألفاظ من المتكلم مثل العمر و النوع. (7)

وقد نقل الجاحظ عن ابن المقفع قوله: >> إذا أعطيت كل مقام حقه و قمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، و أرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد و العدو >>.. (8) و سياسة المقام كما تتضح من كلامه قبل ذلك تتمثل في:

- الإيجاز و الإطناب بمراعاة عدم الإملال.

- التفريق في الكلام استناداً إلى موضوعه: "كأن يقول فرق بين صدر خطبة النكاح و صدر خطبة العيد و خطبة الصلح.

ومن خلال هذه اللمحة الموجزة والتي تضمنت بعض آراء البلاغيين العرب القدماء تأكد لنا أنّ مراعاة المقام عنصر مهم جداً عند إنتاج النصّ، وكذا مراعاة أحوال المتكلمين وظروفهم الاجتماعية وفي كل هذا تأكد على أهمية السياق و ضرورة مراعاته لفهم النصّ. بحسب المقام الذي كتب أو قيل فيه.

كما تناول أيضاً اللغويون العرب قضية السياق. و ضرورة مراعاته لفهم الجملة، فقد عني اللغويون بمسألة تركيب الألفاظ مع بعضها فتطرق "سيبويه" بعد أن أشار إلى أقسام الألفاظ من حيث الترادف والاشتراك (9)... وتطرق إلى قضية الاستقامة والإحالة في الكلام فقال: >> فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب <<، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيك أمس و سآتيك غدا.

وأما المحال: فإن تنقص أول كلامك بآخره: فتقول: أتيك غدا و سآتيك أمس، و أما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر..... وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكى زيدا يأتيك وأشباه هذا.... وأما المحال الكذب فإن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس. (10)

فالحكم على الأمثلة السابقة بالحسن أو القبيح أو الكذب..... مبني على حسن التركيب، ثم مدى موافقة هذا التركيب مع الواقع الخارجي مثل شربت ماء البحر، فهذا المثال كذب لأننا عدنا إلى ماء البحر في الواقع

فوجدنا أنه من المستحيل أن يشربه أحد ولو القليل فما بالك أن يشربه كاملاً.

فمن خلال الأمثلة السابقة نستكشف إلماح "سيويه" إلى قضيته التوافق بين التركيب اللغوي والواقع الخارجي.

3- السياق عند المحدثين:

— لقد عرف علماء الغرب السياق شأنهم في ذلك شأن العرب، فخصصوا له العديد من الدراسات المرتبطة به نظراً لأهمية في إبراز المعنى، وسنحاول في هذه الصفحات التالية التطرق إلى نظرة العلماء الغربيين للسياق بداية من "دي سوسير" باعتباره رائد الدراسات اللغوية الحديثة، ووصولاً إلى "فيرث" باعتبار أن مساهمته و آرائه كان لها عظيم الأثر في هذا المجال، حيث يرى "دي سوسير" "أن مفهوم السياق لا ينطبق على كلمات فرادى فحسب وإنما على مجموعات من الكلمات والوحدات المركبة مهما بلغت من الطول والتنوع كالكلمات والمشتقات وأجزاء الجمل والجمل الكاملة"⁽¹¹⁾، فدلالة السياق عند "دي سوسير" لا تتأتى من الكلمات منفردة بل يجب أن يكون مع مجموعة من الوحدات المركبة بغض النظر عن طول هذه الوحدات أو تنوعها.

ولعل أهم ما تناوله "دي سوسير" لأهمية السياق تظهر في قوله: "الكلمة إذا وقعت في السياق ما، لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق، ولما هو لاحق بها، أو لكيلها معاً"⁽¹²⁾

— إذ يؤكد على أن معنى الوحدة اللسانية لا يظهر ولا يكسب قيمتها إلا من خلال ربطها أو مقابلتها بما هو سابق عليها أو لاحق لها، أو بمراعاتها معاً، وفي هذا تأكيد على ضرورة مراعاة السياق.

وقد أدرك "مالينوفسكي" أهمية العلاقة المتمثلة بين النص والسياق وأنه ينبغي معرفة السياق حتى تتمكن من تفسير النص وفهمه، وما يؤكد ذلك بوضوح هو قوله: >> الكلام والموقف مرتبطان ببعضهما ارتباطاً لا ينفصم، وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم لألفاظ⁽¹³⁾ <<، فالكلام والسياق — سياق الموقف — مرتبطان ارتباطاً وثيقاً لدرجة أنه لا يمكن أن نفصل بينهما كما أن سياق الموقف مهم جداً لفهم دلالة ومعاني الألفاظ، وإذا كانت المكونات الدلالية لأي نص لا تظهر إلا من خلال السياق حيث أكد "فيرث" (firth) بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة سواء كانت هذه السياقات لغوية أم اجتماعية، وهي ما أطلق عليها "فيرث" سياق الموقف فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها⁽¹⁴⁾.

ونرى أنه من الطبيعي أن يمثل السياق دوراً بارزاً في تحديد معنى النص، ومن ثم تحديد تماسكها، وذلك لأن اللغة وليدة الاحتكاك في المجتمع فهي بطبيعتها اجتماعية ومن ثم فالاجتماع يحيط باللغة وبيان معناها بالتأكيد يرجع إلى المجتمع.

كما أن "هايمز" (D.Hymes) يبرز دور السياق في الفهم بأنه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة وأنه يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود >> إن استعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة من المعاني، وبإمكان المقام

ما فإنّها تستعيد كل المعاني الممكنة لذلك السياق والتي لم تشر إليها تلك الصنعة، والسياق — بدوره — يستبعد كل المعاني الممكنة لتلك الصيغة التي لا يحتملها السياق ⁽¹⁵⁾ < >، أمّا في تحديده لخصائص السياق والتي لها علاقة بتحديد نوع الأحداث الكلامية يركز على ما يأتي :

— الباث (المرسل): أي المتكلم أو الكاتب الذي يحدث القول.

— المتلقي (المرسل إليه): ويعني به السامع أو القارئ الذي يتلقى ويستقبل القول.

— المستمعين: إذ يسهم وجودهم في تحديد المعنى الحدث الكلامي.

— الموضوع: أو الرسالة والذي يسميه "هايمز" محور الحديث.

— الظرف: ويقصد به السياق الزماني والمكاني للحدث

— الوضع الجسمي للأطراف المشاركة: أي العلاقات الفيزيولوجية للمتفاعلين كتقاسيم الوجه و الإشارات و الإيماءات.

القناة: أي الكيفية التي تم بها التواصل بين الأطراف المشتركة في الحدث الكلامي لفظاً، كتابةً، إشارة.

الشفرة المستعملة: و هي اللغة أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل.

صيغة الرسالة: و يعني بها الشكل المقصود للخطاب، خطبة، مناظرة... الخ

الحدث: أي طبيعة الحدث التواصلية الذي يمكن أن نضمن داخله غمطاً خطائياً معيناً.

الطابع: و هو الذي يتضمن تقييم الكلام.

الغرض: و هو ما كانت تنوي الأطراف المشاركة التوصل: و هو ما كانت تنوي الأطراف المشاركة التوصل إليه كنتيجة للحدث الكلامي.

فهذه الخصائص كلّما زادت معرفة المحلل بما زادت قدرته على التنبؤ بما يمكن قوله ⁽¹⁶⁾.

و قد قسم اللسانيون السياقات إلى :

— سياقات لغوية (مقالية): Verbal Context

متمثلة في النص ذاته بجميع مستوياته اللغوية و كينونتها النصية، إذ أنّ معنى الكلمة لا يتحدد إلا بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية ⁽¹⁷⁾، و موقعها مما يجاورها من الكلمات التي تشترك معها في السياق، فهو الذي من خلاله تتجلى دلالة الكلمة من خلال استعمالها في اللغة.

— سياقات غير لغوية (مقامية): Context of situation

وهي ظروف النص و ملابساته الخارجية التي تشتمل على الطبقات المقامية المختلفة و المتباينة التي ينجز ضمنها النص، و ينتهي ضمنها المظهر الخطابي ذو الرسالة اللغوية في مقام معين، فيصب المدلولات التغير إذا تغيرت و اختلفت المواقف التي تستخدم فيها الكلمات، أمّا علماء لغة النص فقد جعلوا السياق بنوعيه أساساً للتحليل النصي، فانطلقوا من كون النص "ليس الإحالة خاصة من البنية المحيطة ⁽¹⁸⁾" ، فأَي تحليل لأي سلسلة لغوية دون مراعاة السياق أصبح كما يرى "براون ويول": "محل شك كبير" و تحليله و فهمه يتطلب حصر الأحداث

الكلامية من أجل وصف التراكيب النحوية و الدلالية، أي تحليل السياقات الخاصة التي يتولد منها، ذلك أن ورود النص في سياقين مختلفين ينتج عنه تأويلين مختلفين، لذا فإن الرجوع إلى السياق كما يرى "فان داك" يحصر التأويلات الممكنة و يدعم التأويل المقصود⁽¹⁹⁾، أي أن عدم الإحاطة بالسياق تقطع تواصلية الخطاب وانسجامه.

إذن فالتماسك النصي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياقات المختلفة، سواء الداخلية أو الخارجية، تشترك وتتضافر مع غيرها من أدوات التماسك لتحقيق النصية.

ونشير في هذا الصدد أن "غياب حدود واضحة لمفهوم السياق، يظل مصدراً للخلط الذي تفضي في استعمالات علماء اللسان بين "السياق" و "المقام"، ما يستعملون مصطلح السياق للدلالة به عموماً على مجموع الظروف التي تصاحب ظهور الملفوظ و بهذا المعنى لا يغدو السياق مكوناً من علامات فحسب، ولكنه يشمل مختلف العناصر التي تسهم في فعل التلطف "المحيط الفيزيائي، الظروف التاريخية و الاجتماعية، معارف و نفسيات المشاركين في عملية التخاطب".⁽²⁰⁾

تطبيق آلية السياق ونظرية الأفعال الكلامية في مدونة رسائل محمد البشير الإبراهيمي يعدّ السياق العنصر الأساسي في بناء النص وإنتاج الرسالة، ولأن المتكلم لا يستطيع أن ينتج نصاً إلا إذا توفرت الشروط الخارجية والنصية⁽²¹⁾ التي تشترك وتتضافر مع غيرها من أدوات التماسك لتحقيق النصية وعلى أساس ذلك نحاول دراسة هذه الآلية في رسائل الإمام محمد البشير الإبراهيمي مركزين على بعض القضايا التي يهتم بها السياق ودورها في الفهم والتأويل وبعدها في الانسجام النصي

1. المرسل:

وهو المركز الأساسي المحوري في إنتاج الرسالة، وبناء على ذلك فإن صاحب هذه الرسائل هو العلامة محمد البشير الإبراهيمي الذي عركته الحياة بمرّها وحلوها، وذاق الويلات والأمرين من أجل بلده الجزائر ورسالته الإسلامية التي كان يسعى من أجلها في المجتمع الجزائري وإحيائهم وبعثهم من جديد، وكان هذا العلامة شاملاً متعمقاً في كثير من فنون العلم والمعرفة بالإضافة إلى علوم الدين، لهذا فإن الإبراهيمي تجلّى لنا من خلال رسائله من حيث قوة عباراته وجزالة ألفاظه ومعانيه الموحية المؤثرة، إذ كان يسعى جاهداً لإصلاح المجتمع الجزائري خاصة والمسلمين عموماً، بعلمه ورأيه السديد متطلعا لمجد الإسلام في المستقبل

2. الرسالة:

تعتبر الرسائل فن من الفنون الثرية وهو بالأحرى خطاباً مرتبط بين مرسل ومرسل إليه، ورسائل الإبراهيمي بيّنت لنا خاصية التواصل بين الإبراهيمي ومن كان في مراسلتهم، وهذا ما لاحظناه في رسائله المتعددة لذلك نجد أن رسالة الشيخ إلى جريدة الإصلاح قد اقتصر موضوعها على شحذ الهمم وتشجيع القائمين على جريدة الإصلاح والدعوة لهم بالثبات وزيادة عزيمتهم،

أمّا الرسالة الثانية حيث تجلّى موضوعها حول تعزية أرسلها الإبراهيمي إلى أهل وذوي السيد بطحوش، وفيما

يخص رسالة أحمد توفيق المدني التي كانت قضيتها ومضمونها يدور حول وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس ، ورسالة الشيخ للأستاذ أحمد قصبية في توجيهه أقرانه إلى التمسك بحبل الله وتوصيته ببرّ اللغة العربية والتعمق في فقها

وبالنسبة للرسالة الثانية التي أرسلها إلى الأستاذ أحمد شوقي المدني ، التي احتوت على إبداء أي الإمام في القانون الأساسي بالمجلس الإسلامي الأعلى ، أمّا عن الرسالة الأخرى فقد تناولت برقية تعزية في رثاء المنصف باي ، التي بين فيها الشيخ مدى حزنه وأسفه عن فقد المنصف باي ، وفي الختام اقتضت الرسالة الأخيرة التي أرسلها إلى الشيخ عمر بن حسن حيث شملت على استعطاف السلطات والشعب السعودي لم يد العون للمجاهدين والشعب الجزائري

3. المرسل إليه:

" هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه محمداً، والمرسل إليه حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب سواء كان حضوراً عينياً أم استحضاراً ذهنياً وهذا الشخص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يهم في حركية الخطاب.(22)

وعلى أساس ذلك فإنّ المرسل إليه في رسائل الإمام محمد البشير الإبراهيمي يختلف من رسالة إلى أخرى ، لهذا نحاول ذكر كل من المرسل إليه في هاته الرسائل التي تحت قيد الدراسة .

فالمرسل إليه بالنسبة للرسالة الأولى كانت للقائمين على جريدة الإصلاح .

والرسالة الثانية اقتصر متلقيها من أهل وذوي السيد الرشيد بطحوش

- الرسالة الثالثة _____ المرسل إليه : الأستاذ أحمد توفيق المدني

- الرسالة الرابعة _____ المرسل إليه : الأستاذ أحمد قصبية

- الرسالة الخامسة _____ المرسل إليه : الأستاذ توفيق المدني

- الرسالة السادسة _____ المرسل إليه : أهل وذوي المنصف باي

- الرسالة السابعة _____ المرسل إليه : الشيخ عمر بن حسن

والرسائل قد صنعت متلقين متعددين في أزمان مختلفة، وذلك لمفاد الدرر التي كان ينمقها الإمام، فهي تصلح لنا ولغيرنا لما تحملها من فوائد تدفع إلى إصلاح المجتمع.

4. الزمان والمكان:

إنّ الرسائل التي دوها الإمام محمد البشير الإبراهيمي تختلف من حيث الزمان والمكان من رسالة إلى أخرى وهذا ما لاحظناه في كتاب الآثار لأحمد طالب الإبراهيمي ودراساتنا للرسائل التي إختارناها من كتاب الآثار جاءت مرتبة من حيث الزمان ، لذلك نحدد لكل رسالة زمانها ومكانها التي كتبت فيه :

1/ الرسالة الأولى: "إلى جريدة الإصلاح " (23)

الزمان : 11 جانفي 1940.

المكان : الجزائر.

2/ الرسالة الثانية : " تعزية الإبراهيمي في فقدان السيد الرشيد بطحوش "

الزمان : 28 جانفي 1940

المكان : الجزائر

3/ الرسالة الثالثة : " رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني "

الزمان : أفريل 1940م

المكان : آفلو / الاغواط (الجزائر)

4/ الرسالة الرابعة : " رسالة إلى الأستاذ أحمد قصيبة "

الزمان : 04 سبتمبر 1940 م

المكان : آفلو / الأغواط ' (الجزائر)

5/ الرسالة الخامسة : " رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني ⁽²⁴⁾ "

الزمان : 06 سبتمبر 1947م

المكان : الجزائر

6/ الرسالة السادسة : " برقية تعزية في وفاة المنصف باي "

الزمان : 13 سبتمبر 1948

المكان : الجزائر

7 /الرسالة السابعة : " رسالة إلى الشيخ عمر بن حسن " ⁽²⁵⁾

الزمان : 13 يونيو 1958م

المكان : الجزائر.

ثانيا/ الأفعال الكلامية في مدونة رسائل محمد البشير الإبراهيمي

التداولية هي أحدث فروع العلوم اللغوية، و هي التي تعني بتحليل عمليات الكلام و وصف وظائف الأقوال اللغوية و خصائصها خلال إجراء التواصل بشكل عام.

>>فهي تعالج قيود صلاحية أفعال كلامية و قواعدها بالنسبة لسياق معين، و بعبارة أكثر إيجازا. تدرس التداولية العلاقة بين النص و السياق⁽²⁶⁾ << و من أبرز مقولات اللسانيات التداولية التي تعنى بالخطاب كأفعال لغوية و علاقتها بالسياق هي نظرية الأفعال الكلامية حيث تأسست على يد اللغوي "أوستن" و "سيرل" فقد ميز "أوستن" بين العبارات الأداتية أو الإنجازية و بين الأحداث الكلامية البيانية، يقول أوستن في الأول: >> لا يمكن أن يكون الفعل الإنجازي، ناجحاً تماماً دون أن يحدث تأثير على المخاطب (المتلقي).⁽²⁷⁾

يبدأ "أوستن" في تجسيد فكرة >>القول يعني الفعل<< أي بالاهتمام بالأفعال الإنجازية أو الإنشائية مثل: أقسم، عمد،... أفعال تمثل الصيغة الافرادية لتحقيق ما يقوله المخاطب للإقامة حقيقة جديدة انطلاقا من

لفظة تلفظها (تأدية الفعل). (28)

ويعرّف الفعل الكلامي على أنّه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري و فضلاً عن ذلك يعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغابات تأثيرية تخص ردود فعل الملتقي كالرفض والقبول. (29)

إننا ما نعينه عادة بقولنا إننا نقل شيئاً ما هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي كأن نعد وعداً ما أو نصح أو نفرح.

و ثم تحديد الأفعال الكلامية في المدونة : حيث من خلال دراستنا اتضح لنا في رسائل الإبراهيمي مدى أهمية الأفعال الكلامية لأنها تعد من المفاهيم الأساسية في تحليل النص / الخطاب ، إذ تدرج لنا الفعل اللغوي في سياقه العام لمعرفة الفرص من الخطاب أو النص وعلى أساس هذا فالأفعال تدرس العلاقة بين العلامة ومؤوليتها حسب تعبير "فرنسوا آرمينكو" (30)

ولذلك نحاول رصد الأفعال اللغوية الواردة في رسائل البشير الإبراهيمي:

الحكميات: Verdictives: >> وهي الأفعال التي تقوم على إطلاق حكم مبني على شهادة أو تعليل (31) <<. وهي في جوهرها إطلاق أحكام على الواقع، أو قيمة مما يصعب القطع بها، ومن أمثلتها: قِيم، حكم، وصف، حلل، صنف... وتركز هاته الأفعال الحكمية على إصدار أحكام ومواقف على حادثة معينة أو تشخيص، واتضح هاته الصفة في رسائل البشير الإبراهيمي إذ ذكر عليها الأمام في تبليغ إيصال رسائله وذلك من قوله: -فتحقق عندي ما لم أكن أجهله. (32)

- من أن صروف الدهر أحداث الزمان لا تنال من النفوس الكريمة

- كذلك يبتلي الزمان الجرائد

- يستحضر صورة >> الإصلاح << القديم و الإصلاح الجديد

وهذا ما ورد في رسالة الإبراهيمي إلى "جريدة الإصلاح" بعض الأحكام والمواقف من قوله: " أحداث الزمان لا تنال " يبتلي الزمان الجرائد"، ونلاحظ من خلال هاته الأفعال أنّها توافقت مع غرض التقرير والوصف .

أمّا عن رسالة "تعزية الإبراهيمي في فقدان السيد الرشيد بطحوش " وذلك من قوله:

- ولا تسأل عما غمرني من الهم والأسى و الأسف لموت الأخ ،

- فأنت بفواته وماتت بموته

- رحمه الله

- الهمنا جميعاً فيه الصبر اغتنام الأجر

- أن تبلغوا تعزيتي إلى إخوانه

يَينّت هاته الأفعال عن الجلل والمصاب الذي أثر في الإمام البشير الإبراهيمي من خلال موت وفقدان السيد

الرشيد بطحوش، كما جاءت أغلب هاته الأفعال بصيغة الماضي في هذه الرسالة وهذا مايناسب غرض التقرير والوصف

وأما الرسائل الأخرى فنحاول ذكر بعض النماذج التي تدرج في هذا النوع من أفعال الكلام، ففي رسالة " إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني " ورد قوله: (33)

- كان كالشمس لجميع الناس
 - واعتقد أن فقدته لا يحزن قريبا دون بعيد
 - على فقد البحر الذي غاض، بعد أن فاض
 - جزاء مابث من علم وزرع من خبر
- نلاحظ أن ما ورد من أفعال كلامه مثلة لنا أحكاما توافقت مع الوصف والتقرير أما عن رسالة الأستاذ أحمد قصيبة التي مثلت لنا جانبا وصفيا من خلال هاته الأفعال وذلك من قوله : >> لاتزال لبل مظلّم، وأن ميدان العراك بينهما وبين الحوادث لم يزل فسيحا <<، والتقرير ما ورد في قوله أيضا >>.... إن اعتماد هذا الدين وهذه اللغة في هذا الطور الجليل الذي تتوسطونه وتتولون زعامته << وكذلك ما جاء في رسالة الأستاذ أحمد توفيق المدني عندما أرسل له الشيخ إبراهيم بيّوض القانون الأساسي للمجلس الإسلامي الأعلى، فردّ عليه الإبراهيمي في كتاب أرسله إلى أحمد توفيق المدني يقرّ رأيه فيها، حيث لاحظنا أن الإبراهيمي أدرج أفعال كلامية تخرج إلى غرض التقرير والوصف وذلك من قوله:
- << لا أستطيع أن أبدي أي رأي في الموضوع الأصلي، قد دعيت انا والشيخ العربي برسالتين: إن إجابتنا تتوقف على اطلاعنا <<.

- حيث أقرّ الإبراهيمي ما يجب أن يفعله عند اطلاعه للقانون الأساسي الخاص بالمجلس الإسلامي الاعلى
- أما عن الأمثلة الأخرى التي وردت في الرسائل نذكرها كالتالي:
- و يزيد (من وفاة صاحب الجلالة سيدي محمد المنصف) آثارها الدامية تمكنا من النفوس ما أحاط بها من ظروف الغربة والظلم. (34)

- إن إخوانكم في الله وفي الإسلام والعروبة مازالوا ثابتين كالجبال
 - إن إخوانكم المجاهدين في الجزائر لا يحتاجون إلى الرجال إنما يفتقرون إلى المال
 - فالرجاء أن تأخذوا بيد الوفد المذكور
- ومن خلال هاته الأفعال التي ساعدت على التقرير والوصف مما أدى إيصال غاية الكاتب إلى المتلقي (المرسل اليه).

التوجيهات: Exercitives >>تقوم على محاولة توجيه المخاطب إلى الفعل سلوك ما في المستقبل، وشرطها الإرادة و الرغبة الصادقة و تمثلها الصيغ: الاستفهام و الأمر و النهي و الرجاء و النصيح، والاستفسار و السؤال >> (35)

و تدخل كثير من أفعال القرار في هذا القسم، كما تندرج فيه ما سماه أوستن السلوكيات التي تعبر عن رد فعل سلوك الآخرين، (تعاطف، اعتذار....) و أفعالها مثل: أمر، قاد، دفع عن، ترجى، طلب، تأسف، نصح. مما لاشك فيه أن الإمام محمد البشير الإبراهيمي من دعاة الإصلاح حيث برز إبان الحركة الإصلاحية ولهذا نجد الرجل يحاول التأثير في المتلقي وذلك بإصلاح سلوكيات الغير من خلال كتاباته بالتوجيهات التي يقدمها إلى المخاطب لفعل سلوك ما في المستقبل وإصلاح طبعه، تمثل هذه التوجيهات الصيغ التالية المتمثلة في الاستفهام والأمر والنهي والرجاء والنصح وعلى أساس ذلك كله نورد بعض هذه الأفعال التي برزت لنا من خلال دراستنا لرسائل البشير الإبراهيمي وهي كالتالي :

وذلك من قوله في رسالة " إلى جريدة الإصلاح " >> نرجو لتلك العزيمة (العقبية) إلا أن يزيدنا الله ثابته أن يقيها عثرات القلم وفتنة الرأي <<(36)

نلاحظ أن التوجيهات في هات هاته الرسالة اقتصر على رجاء الإمام البشير الإبراهيمي في دوام وثبات العزيمة العقبية :

أمّا في الرسالة الثانية الموسومة " رسالة إلى الأستاذ أحمد قصيبة " نجد أن الكاتب اورد فيها من أفعال التوجيهات وذلك بصيغة الرجاء عند قوله: >>رجاؤنا في الله قوي ... وإئنا نرجو أن يوفقنا إليه إلى هذا الاستعداد<<(37)

وكذلك وردت لنا صبغة أخرى مقتصرة على تقديم النصح و الإرشاد و التوجيه وذلك بقوله: >> أوصيكم بأن تكونوا بررة بهذه اللغة الشريفة لتحيوها.... << و كذلك صيغ الأمر التي جاءت عنما قال : >> فكونوا رجال اليوم والغد ، وتسليحوا بالأخلاق الإسلامية << ، وأمّا فيما يخص الرسالة الأخيرة المرسلة إلى الشيخ عمر بن حسن ، فقد تجلّى الرجاء من قوله : >> لهذا ارجو من فضيلتكم أن تقوموا لله قومة<<(38) ، فهنا رجاء الإبراهيمي من السلطات السعودية وشعبها الالتفات إلى القضية الجزائرية، وكذلك نلاحظ تأكيده بقوله : >> فالرجاء أن تأخذوا بيد الوفد المذكور وأن تكونوا عوناً <<

التعبيرات : هي >>رد فعل و تعبير عن مواقف اتجاه سلوك و مصير الآخرين<< ، و النماذج عن التعبيرات هي الاعتذارات والتشكرات و التهاني و الترحيبات و التعزيات. (39)

والغاية من كل هذه الأصناف التعبير عن ذلك التدفق الشعوري الذي يخلج قرارة نفسية المبدع تعبيرا صادقا ،ومن خلال رصدنا لرسائل محمد البشير الإبراهيمي وجدنا البعض منها قد تبنت نماذج من أفعال الكلام التعبيرية ، وبالأخص التعازي والتشكرات ،وذلك ما ورد في رسالة "تعزية الإبراهيمي في فقدان السيد الرشيد بطحوش " من قوله : >> أعزيكم أيها الأخ فيه <<(40) ، وأيضاً وردت التعازي في رسالة " الاستاذ أحمد توفيق المدني " إلا فلهذا بعثت أعزيكم على فقد ذلك البحر الذي غاض << حيث يبدي محمد البشير الإبراهيمي حزنه الشديد فقد صديقه الإمام "عبد الحميد بن باديس "

أمّا عن رسالة الإمام إلى الشيخ عمر بن حسن " نجاه أبدى شكره لله عز وجل وذلك في : >>أرجو أن يوزعني

وإياكم شكر نعمائه (41) >> وقوله: >> واقبلوا في الختام تحيات الأخوة الصادقة >> وقد اشتملت هاتين العبارتين بتقديم الشكر الخالص لله عز وجل وإيصال التحية والسلام إلى السلطات السعودية وشعبها التبينيّات (Expositives): وهي >> تستخدم للمحاجة و للإبانة عن التطورات و توضع استعمال الكلمات >> (42)، إذ في سياق الكلام يكون المتكلم في حاجة إلى طرائق شتى ليبين عن رأيه حتى يقتنع المخاطب بصحة ما أورده. و تبني فكرة ما تحتاج إلى مجموعة من الحجج و البراهين حتى تنتقل من مستوى العرض إلى مستوى الإقناع و التسليم بها. لهذا لاحظنا أن الإمام محمد البشير الإبراهيمي في رسالته وظف رأيه وأثبتته عن طريق بعض الأساليب والطرق لإقناع القارئ والمتلقي، ويظهر جليا لنا في الرسالة الأخيرة التي كانت يطلب فيها يد العون من الأخوة السعوديين لإمداد الشعب الجزائري بالمال وذلك لحاجته الماسة إليه في الثورة

فلو عدنا إلى الرسالة نجد أنه أعطى بعض الحجج والدلائل لإقناع المرسل (السلطات في الحجاز)، وذلك من قوله: >> إن من الحقائق الثابتة - أيها الأخ - أن القتل في الجزائر أتى على ما يقارب مليون شخص (43) >> ذكر الأرقام والأعداد يمثل وسيلة من وسائل الإثبات والإقناع في المتلقي، وقام الإبراهيمي بعرض حقائق متعددة يعلمها الجميع وجعلها وسيلة من وسائل التأثير في نفسية المتلقي مما يؤدي هذا الأخير إلى تبني أفكار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ومساعدته في قضيته وهذه غاية الإمام في خطابه ورسالته. ولهذا فإن الأفعال الكلامية حققت الانسجام النصي حيث استطاعت أن تكون تماسكا نصيا بأغراضها وقد أدت في الختام لبناء البنية الكلية للرسالة.

و خلاصة القول: إن الأفعال الكلامية تحقق الانسجام النصي إذا استطاعت أن تكون تماسكا نصيا بأغراضها التخاطبية المتوازية و التي تؤدي في النهاية إلى المشاركة في بناء البنية الكلية للخطاب. الخاتمة:

كانت هذه الدراسة محاولة لمقاربة الرسائل الإبراهيمية في ضوء لسانيات النص، أردنا من خلالها الكشف عن الآليات التي حققت لها النصية، والبحث في السبل التي أسهمت في انسجامها، وقد توصلنا في الأخير إلى جملة من النتائج في النقاط الآتية:

لعب السياق دورا هاما في الفهم والتأويل مما أدى الى الترابط المفهومي، وذلك من خلال ادراج ذات المرسل في الرسائل التي اقتضت في روح البشير الإبراهيمي وقد تجلت لنا من خلال هذه الدراسة خاصية التواصل بين الإبراهيمي ومن كان في مراسلتهم، حيث تبين لنا أن المرسل إليه كان حضورا عينيا من خلال ثنانيا المدونة التي قمنا بدراستها، زد على ذلك أن التحديد الزماني والمكاني كان له دورا فعّالا في نسقية وتماسك نصوص المدونة وهذا من خلال مساعدة المقام للنصية.

أما الأمر الثاني الذي توصلنا إليه ثمثّل في مدى فاعلية التداولية وذلك بتجلي الأفعال الكلامية في الرسائل. وقد حققت العناصر الدلالية على الربط بين أجزاء المدونة، و تنوعت هذه الآليات فيما بينها

وتباينت.

خلاصة القول أنّ الإمام محمد البشير الإبراهيمي استطاع أن يؤثر في المتلقي بهذه اللغة الجزلة الموحية التي تترك بصمة في المستقبل لهذه الرسائل، زد على ذلك تحقيق النصية في كل رسالة من رسائله وذلك لبراعته وإبداعه الأدبي في كيفية بناء نصه.

المصادر و المراجع

- ¹ الطيب الغزالي قواوة، الانسجام النصي وأدواته، مجلة أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة. الجزائر ص: 62
- ² ابن منظور، لسان العرب، ص: 314.
- ³ Halliday. Hassan language context and Text 05
- ⁴ الجرجاني: التعريفات، تج: إبراهيم الاياري، دار البيان للتراث، ص: 62.
- ⁵ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، مكتبة محمد صبيح القاهرة، ص: 7-8.
- ⁶ الجاحظ: البيان والتبيين، تج: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط 4، ج 1، ص 138، 139.
- ⁷ المرجع نفسه، ج 1، ص: 146.
- ⁸ المرجع نفسه، ص: 106.
- ⁹ سيويوه: الكتاب، ج 1، ص: 24.
- ¹⁰ المرجع نفسه، ج 1، ص: 25، 26.
- ¹¹ فردينا ند سوسير: دروس في الألسنة العامة ترجمة صالح القرمادي وزميله، الدار العربية للكتاب، 1975، تونس ص: 186.
- ¹² المرجع نفسه، ص: 186.
- ¹³ د/ علي عزت: اللغة والنظرية والسياق، مقال في مجلة الفكر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ع 1971، 76 ص: 22، نقلا عن كتاب دلالة السياق ل: د/ ردة الله بن ردة طيف الله الطلحي، ص: 186.
- ¹⁴ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب مصر، ط 2، 1977 ص: 28-29.
- ¹⁵ براون ويول، تحليل الخطاب، ص، 47.
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص، 50.
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص: 68.
- ¹⁸ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 1، ص: 109.
- ¹⁹ فان دايك، العلاماتية وعلم النص، ترجمة: منذر عياشي، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 2004، ص: 141.
- ²⁰ ماري نوال، غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص: 27.
- ²¹ سوداني عبد الحق: رسالة ماجستير "أدوات الانساق و آليات الانسجام في قصيدة الهزيمة النبوية لأحمد شوقي، 2009/2008، ص : 140.
- ²² عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ليبيا ، ط 1 ، 2004 ، ص : 48.
- ²³ أحمد طالب الإبراهيمي : آثار محمد البشير الإبراهيمي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1997 ، ط 1 ، ج 1 ، ص : 410.

- 24 المرجع نفسه ، ج 1 ، ص: 37.
- 25 المرجع نفسه ، ج 5 ، ص : 224.
- 26 تون فان داك: علم اللغة مدخل متداخل الاختصاصات ، تر ، سعيد حسن مجري، دار القاهرة للكاتب ، ط1 ، 2001 ، ص: 114.
- 27 ذهنية الحاج حمو ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ص: 126 .
- 28 المرجع نفسه ص: 126.
- 29 مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ، دار الطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص: 40.
- 30 دومينيك موفقانو ، المصطلحات ، المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص: 94.
- 31 جيل بلان: عندما يكون الكلام هو الفعل ، تر :جورج كنورة ، مجلة العرب والفكر العالمي ، العدد 5، بيروت شتاء 1989 ص: 49 .
- 32 أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار محمد البشير الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط1 1997 ، ج 1 ، 410.
- 33 المصدر نفسه ، ج 2: ص 37.
- 34 المصدر نفسه ، ج 5: ص 224.
- 35 طالب هاشم طبطائي: نظرية الأفعال الكلامية، مجلة الفكر العربي المعاصر ع: 98، 99، سنة، 1999، ص: 67.
- 36 أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإمام البشير الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان: ط1 1997، ج 1، ص : 410.
- 37 المصدر نفسه ، ج 2 ، ص: 39.
- 38 المصدر نفسه ، ج 5 ، ص: 224 .
- 39 جيل بلان: عندما يكون الكلام هو الفعل ، مجله العرب والفكر العالمي ، ص: 49.
- 40 أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 1997، ج 1 ، ص : 412.
- 41 المصدر نفسه، ج 5، ص: 224.
- 42 جيل بلان: عندما يكون الكلام هو الفعل، ص: 49.
- 43 أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997 ، ج 5 ، ص : 224.